شرح قصيدة بم التعلل لا أهل ولا وطن

إنّ قصيدة بم التعلل لا أهلٌ ولا وطَنٌ هي من القصائد الرائعة التي كتبها أبو الطيب المتنبي، وهي قصيدة نونية على البحر البسيط، وهي قصيدة تتألف من خمسة وعشرين بيتًا، نذكر منها الأبيات الأشهر مع شرحها فيما سيأتي:

- **بِمَ التَعَلُّلُ لا أَهلٌ وَلا وَطَنٌ / / / وَلا نَديمٌ وَلا كَأسٌ وَلا سَكَنُ**
  أُريدُ مِن زَمَني ذا أَن يُبَلِّغَني / / / ما لَيسَ يَبلُغُهُ مِن نَفسِهِ الزَمَنُ

يبدأ الشاعر أبو الطيب المتنبي هذه القصيدة بالسؤال: بماذا أتصبر وأهون على نفسي ما تعاني من ألم ومشقة وتعب وأنا لا أهل لي ولا وطن يأويني، ولا صديقَ ولا كأس خمر أتصبر به ولا سكن أعيش به بسلام وأمان، وكان هذا القول في الفترة التي كان ينتظر فيها المتنبي ما وعده به كافور الإخشيدي حاكم مصر من رتبة ومنزلة رفيعة ومكانة، ثم يقول: أريد من هذا الزمن أن يصل بي إلى مكان لا يصله الزمن نفسه، والمقصد من هذا البيت أنّه يريد أن يبقى في ريعان الشباب سعيدًا لا يغزوه الهرم ولا المشيب ولا التعب ولا العجز.

- **لا تَلقَ دَهرَكَ إِلّا غَيرَ مُكتَرِثٍ / / / ما دامَ يَصحَبُ فيهِ روحَكَ البَدَنُ**
  فَما يَدومُ سُرورٌ ما سُرِرتَ بِهِ / / / وَلا يَرُدُّ عَلَيكَ الفائِتَ الحَزَنُ

في هذه الأبيات يخاطب الشاعر أبو الطيب المتنبي نفسه؛ فيقول: ما دمت على قيد الحياة فلا تلقِ بالًا للزمن ولا للنوائب ولا للمصائب، فإنها زائلة لا محالة، وإنّ الشيء الوحيد الذي إذا ذهب لن يعود هو العمر، ثم يعودج ويؤكد قوله في البيت الثاني من هذا المقطع، ليقول: لا تلقِ بالًا للدهر فإنّ السرور والجمال لا يدوم في هذا العمر، وإنّ الأشياء التي تفوت لا يمكن للحزن أن يردها، لذلك لا تحزن على ما فات أبدًا؛ لأنّ كل شيء في هذه الحياة سائر إلى زوال،

- **مِمّا أَضَرَّ بِأَهلِ العِشقِ أَنَّهُمُ / / / هَوُوا وَما عَرَفوا الدُنيا وَما فَطِنوا**

في هذا البيت الشعري يتحدث المتنبي عن العشاق، فيقول إنّ العشاق في هذا العالم عشقوا ولم يعرفوا أنّ الحياة مليئة بالغدر، فلم يعرف العشاق طبع هذه الحياة الدنيا وما هي عليه من الغدر والخيانة، فهم عشقوا فلمّا عرفوا حال الدنيا شعروا بالخذلان والخيانة والغدر.

- **يا مَن نُعيتُ عَلى بُعدٍ بِمَجلِسِهِ / / / كُلٌّ بِما زَعَمَ الناعونَ مُرتَهَنُ**
  ما كُلُّ ما يَتَمَنّى المَرءُ يُدرِكُهُ / / / تَجري الرِياحُ بِما لا تَشتَهي السُفُنُ

يخاطب الشاعر في هذا البيت سيف الدولة الحمْداني فيقول: يا سيف الدولة، أيها الرجل الذي نعاني الناس في مجلسك وقالوا عني الأقاويل وألفوا عليّ الأشياء التي ليست فيّ، يقول له: ما كل ما يتمنى الإنسان في هذه الحياة يصل إليه، فالرياح تجري في الغالب بما لا تريد السفن، ويقصد هنا أعداءه الذين شاؤوا له الموت، ولكنهم لم يحصلوا على مرادهم، لأنّ الشاعر نجا من هذه المكيدة وصار في مكان آمن فيه.

- **جَزاءُ كُلِّ قَريبٍ مِنكُمُ مَلَلٌ / / / وَحَظُّ كُلِّ مُحِبٍّ مِنكُمُ ضَغَنُ**
  وَتَغضَبونَ عَلى مَن نالَ رِفدَكُمُ / / / حَتّى يُعاقِبَهُ التَنغيصُ وَالمِنَنُ
  فَغادَرَ الهَجرُ ما بَيني وَبَينَكُمُ / / / يَهماءَ تَكذِبُ فيها العَينُ وَالأُذُنُ
  إِنّي أُصاحِبُ حِلمي وَهْوَ بي كَرَمٌ / / / وَلا أُصاحِبُ حِلمي وَهوَ بي جُبُنُ

يقول الشاعر في هذه الأبيات إنّ الجزاء الذي يحصله القريب منكم هو الملل والكلل، والجزاء الذي يحصله كل محب لكم هو الكراهية والحقد، ثم يقول الشاعر إنّكم تغضبون على كل من كسب عطاءكم، فما يكسب بعد ذلك إلّا كدر العيش والمنة منكم على المعروف الذي صنعتموه له، فعطاؤهم لا يخلو بأي شكل من الأشكال من المن والأذى والتكدير وهنا يتحدث عن سيف الدولة الحمداني، ثم يقول إنّه يصاحب حلمه إذا كان مقترنًا بالكرم والجود ولا يصاحبه إذا كان مقترنًا بالخوف والجُبن وقلة الشجاعة.